الصليب، ومن يخلفهم في مجال التعليم باسم المدنية، ومن يخلفهم في مجال الاستعمار باسم التبشير المسيحي، وتلك مجالات لا حجر فيها ولا حرج، لذلك كله هان على الاستعمار تسليم البلاد، وإيقاع البعض بالبعض، ثم القيام بنصرة أحد الطرفين على الآخر، ولو بالقوة المسلحة.

الأحزاب وتأليف الحكومة:

نص الدستور على تقسيم حكومة نيجيريا إلى إقليمية ومركزية، لكل منها مجلس الوزراء، والأقاليم ثلاثة: الشرقي والشمالي والغربي، ولكل حكومة إقليمية قاعدة ورئاسة، ومرجع الجميع الحكومة المركزية في لاغوس العاصمة.

ومن أجل الوصول إلى كراسي هذه الحكومة تألفت الأحزاب السياسية، وأولها: حزب المؤتمر القومي النيجيري الذي تأسس ١٩٤٥م والذي تحالف مع الديموقراطي، الذي أسسه هابارت مكولي ١٩٣١م ويرأس هذا الحزب ازيكوي من قبائل ايبو أكمل تعليمه في أميركا، ثم عاد إلى نيجيريا ١٩٣٧م وبدأ ينفخ روح القومية في نفوس بني قومه، حتى صار بارزًا في سياسة غرب أفريقيا.

وكان يقوم هذا الحزب أولاً على محاربة الاستعمار في جميع صوره وأشكاله، وعلى تفضيل سياسة أميركا على سائر المستعمرين، وعلى التسامح الديني والتنويه بأمجاد الأسلاف المسلمين في غرب أفريقيا عمومًا وفي نيجيريا خصوصًا، لهذا اندفع وراءه أكثر الشباب المسلم في شمال نيجيريا فضلاً عن أبناء القبائل الأخرى في الشرق والغرب.

واستطاع هذا الحزب أن يصل إلى كرسي الحكم الإقليمي في شرق نيجيريا برئاسة هذا الزعيم القومي (الدكتور انمدي ازيكوي).

وثانيها: حزب الشعب الشمالي الذي تأسس ١٩٤٩م بقيادة أحمد بللو، وتنحصر عضويته في أبناء الشمال بأغلبية المسلمين وأقلية المسيحيين، ويقوم هذا الحزب على المحافظة على العقائد والتقاليد والعادات المحلية، واحترام الأمراء والعلماء، والانحياز إلى الشرق العربي الإسلامي، وقد تمكن هذا الحزب من الوصول إلى الحكم الإقليمي الشمالي برئاسة أحمد بللو، الحفيد الرابع للشيخ عثمان بن فودي.

ومن هنا التف الأمراء من ذرية أتباع ابن فودي حول حفيد سيدهم، كما كان أجدادهم يلتفون حول جده من قبل. وخيل إليهم كأن بمجدهم الذي ضيعه الاستعمار يعود إليهم على رصيف الانتخاب ليصبحوا حكام البلاد، من الشمال حتى الجنوب الذي كان يصبو إليه أجدادهم.

ثالثها: حزب جماعة العمل الذي تأسس ١٩٥١م بقيادة رجل من قبائل يوربا، يدعى اوبافيمي اولوو، يدين بالمسيحية، ولكنه قد تمكنت فيه النزعة القبلية والعصبية الدينية والفكرة النفعية، ويقوم حزبه على المذهب الرأسمالي، والمبادىء الماسونية. ويتكون أعضاؤه من قبائل يوربا المسيحيين والمسلمين المغلوب على أمر دينهم بالنعرة القبلية والدعاية المغرضة، واستطاع هذا الحزب أن يقبض على زمام الحكم الاقليمي الغربي برئاسة هذا الرجل النفعي الماسوني، الذي يعتبر الغاية مبررة للوسيلة.

هكذا تمت الأوضاع في الأقاليم الثلاثة، وبقي الوصول إلى الحكومة المركزية فصارت الأحزاب الثلاثة تتنافس عليها، لما أجري الانتخاب الأول ١٩٥٩م وكتب الله النجاح لحزب الشعب الشمالي، تعين بموجبه الحاج أبو بكر تفاوى بليوى رئيسًا للوزراء الفيدراليين، لأن الحاج أحمد بللو فضل البقاء في إقليمه، ورشح أبا بكر لينوب عنه في الحكومة المركزية.

وكان الحاج أبو بكر وطنيًا مسامحًا بكل معنى الكلمة، فسعى في تأليف قلوب الجنوبيين بأن دعاهم إلى مشاركته في حكومة ائتلافية وطنية، فامتنع الزعيم اليرباوي فاكتفى بجناح المعارضة فقبل الدكتور ازيكوي، فتعين بموجبه حاكمًا عامًا، ثم رئيسًا للجمهورية، مع عدد من أعضاء حزبه في وزارات هامة تحت حكومة بليوى.

إلى جانب احتلال أبناء قبيلة أزيكوي لإدارة الجيش والبوليس والوظائف الخارجية كالسفارات والقنصليات، وقد تمكنوا بذلك كله أخيراً من قلب الحكومة في الداخل ونشر الدعايات لأنفسهم في الخارج.

بواعث التوتر بين الجنوب والشمال:

إن الأسبقية التي كان يتمتع بها الجنوبيون من قبائل ايبو ويوربا في الثقافة الغربية، حملتهم على التبجح والتغطرس أمام الشماليين الذين لم يضطلعوا إلا بالتعليم العربي الإسلامي، الذي لا يبوئهم المناصب العالية في الخدمات الحكومية، والغرف التجارية، والهيئات العامة، فانفسح المجال لقبائل إيبو ويوربا أن يحتلوا تلك المناصب في الجنوب، حتى في الشمال بالذات.

ثم إن الإقليم الشمالي يضاعف الجنوبى مساحة وسكانًا، فضلاً عن كون الجنوبي مقسومًا إلى الشرق والغرب، ومع ذلك يسعى الجنوبيون في السيطرة على الشماليين، ولقد تفطن الحاج أحمد بللو بما كان يبيته الجنوبيون من تذويب الشمال في بوتقتهم، والحصول على نصيب الأسد في كل شيء، لذلك ظل أحمد بللو ينادي منذ الساعة الأولى بالانفصال عن الموكب الغربي، إلى موكب الشرق العربى، غير أن بعض أنصاره عارضوه بأن ذلك توريط للإقليم في أزمات اقتصادية متضاعفة لانعزاله عن شواطىء المحيط التي يشرف عليها الجنوب الشرقي الغربي.

ولكن أحمد بللو ظل محتفظًا بهذه الفكرة، وظل يكرس جهوده على تقوية إقليمه ثقافيًا واقتصاديًا، وعلى تهيئة نهر النيجر للملاحة، وإنشاء الميناء والمحطة الكبرى، لتوليد الكهرباء الصناعية على ضفته، تفاديًا لما قد يحدث من التطورات في المستقبل، لذلك كله ظل يلتزم حدود إقليمه ويكتفي بما يكتسبه من الأصوات الانتخابية فيه، ولا يطلب شيئًا من إقليم آخر.

ولكن الساسة الجنوبيين لم يتركوا الشمال لأهله، كما تركوا لهم الجنوب، ومع ذلك ظل أحمد بللو هادئًا ضابط النفس لم يحرك ساكنًا، ولم يغير سياسته. وفي هذه الأثناء، كان التوتر شديداً بين الشرق والغرب، يعني بين الزعيم ازيكوي والزعيم اولوو، وقد طارد الأخير الأول مرة من ميدان الانتخاب في الاقليم الغربي، ليتوجه توًا إلى إقليمه في الشرق، وألحق به أضرارًا بالغة فى مختلف المناسبات مما حمل أتباع ازيكوي على إضمار الانتقام لزعيمهم كلما انتهزوا الفرصة لذلك.

ولم يكن يخطر ببال أي إنسان أن التوتر بين الشرق والشمال سيبلغ منتهاه في يوم من الأيام، لما كان بين الطرفين من الثقة المتبادلة التي مكنت قبائل إيبو في الشمال وضمت عدداً من أبناء الشمال في صفوف الحزب السياسي الشرقي تحت زعامة ازيكوي.

وإنما كان التوتر شديداً بين الغرب والشمال لما كان عليه الزعيم الغربي من التعصب القبلي والدينى معًا، وإيقاظ النعرة النائمة بين اليرباويين والفلانيين، الذين قتلوا افنجا في الورن، وطاردوا الملك الأفن من أويولي، وخربوا كثيراً من مدن يوربا وأقاموا بدلها مدينتهم، وحكومتهم باسم الإسلام، وقد حمله هذا التعصب على بغض العرب والمسلمين جميعًا،

وكان أول من استدعى اليهود إلى إقليمه وأشركهم في مؤسساته، ليوازن بذلك كفة أحمد بللو، الذي كان يستميل العرب ويواليهم ويحضر مؤتمرهم كل سنة في مكة، وعبثًا بذل هذا الزعيم اليرباوي أقصى جهده للوصول إلى رئاسة الحكومة المركزية، ولما خاب سعيه، ويئس من رصيف التصويت والاقتراع صار يبيت السوء ويحيك المؤامرة لقلب الحكومة المركزية على الحاج أبي بكر تفاوي بليوي، فأظهر الله الشر الذي كان يكتمه، وقبُض عليه وحوكم وأدين بالجريمة وقضي عليه بالسجن عشر سنين.

ومن هنا انقسم حزبه (جماعة العمل) على قسمين، قسم يتحمس لهذا الرئيس المعتقل في السجن وقسم يتحمس لنائبه صمويل اكنتولا، الذي انحاز مع القسم الأكبر من قبائل يوربا، إلى موالاة الاقليم الشمالي، فاعتبره القبليون خائنًا لقبيلته، لأنه خضع لقبائل هوسا، كما اعتبره الصليبيون خائنًا لدينه، لأنه خضع للمسلمين، فصاروا يبيتون له السوء، فغير الشرقيون سياستهم فجأة، وجعلوا يتظاهرون بالعطف على قضية الزعيم اليرباوي المعتقل، لكسب موالاة أتباعه من اليرباويين، حتى يستطيعوا أن يشكلوا جبهة واحدة، لتنفيذ قلب الحكومة حسب إرادة الزعيم اليرباوي المعتقل، مع أن الدكتور ازيكوي لا يزال رئيسًا للجمهورية، ولا يزال عدد من قبائله يشغلون من مناصب الوزارات ما يقارب النصف، وفي هذه الأثناء جاء دور الانتخاب الإقليمي في الغرب، واكتسح الحزب الموالي للشعب الشمالي تحت رئاسة اكنتولا، أغلب الكراسي فعاد إلى رئاسة الحكومة، فأوعز قبائل ايبو إلى أنصارهم في الأقاليم أن يعلنوا اعتراضهم على نتيجة هذا الانتخاب بأعمال العنف، وإثارة القلق والاضطراب كنسف المباني والسيارات الخاصة، والتمثيل بمؤيدي خصومهم

على مرأى القوى البوليسية التي تشكل الأغلبية من قبائل ايبو، توهينًا لقوة الحكومة، وتمهيدًا لتنفيذ الانقلاب وتوسلاً لكسب تأييد الشعب وتبريرًا لإقامة الحكم العسكري بعد إسقاط الحكومة الإسلامية كما يسمونها.

اغتيال الزعماء الشماليين:

تمت المؤامرة السرية بين قبائل ايبو، وأتباع الزعيم المسجون من قبائل يوربا، الذين أشعلوا نار الفتن، ثم هربوا وأوعزوا إلى الجنود الشرقيين أن يقوموا بذلك الانقلاب الجائر، الذي اغتالوا فيه أحمد بللو، وأبا بكر تفاوا بليوي من المدنيين الشماليين، واللواء زكريا ملاري، والكولونيل محمد قرو، والليفتنانت يعقوب فام من العسكريين الشماليين، ولا تسأل عن الضحايا المجهولين، كما اغتالوا رئيس وزراء الاقليم الغربي صمويل اكنتولا واللواء اديموليغون، وسائر الذين يوالون الشماليين في مختلف الأقاليم، وكان ذلك في منتصف يناير ١٩٦٦م، وفي شهر رمضان.

إن الذين تولوا قتلهم سفهًا لقوا أثامًا وخسرانًا وما ربحوا

وكان قد تستر رئيس الجمهورية ازيكوي بلندن، في اجازة مصطنعة. ومن هناك أملى على نائبه أن يسلم الحكومة للجيش ريثما يعود الأمن والاستقرار إلى البلاد. وكان القائد الأعلى لقوات نيجيريا المسلحة يسمى ارونسي، وهو من قبائل ايبو، ومن الأفكارالتي دبرت المؤامرة الدموية، فاستلم الحكم وأصبح رئيسًا للحكومة العسكرية بنيجيريا. فظن قبائل ايبو أن قد خلا الجو لهم، ليحكموا البلاد حسب رغبتهم، ولا يشاركوا معهم غيرهم، حتى الغربيين الذين تعاونوا معهم على تنفيذ الخطة الجريمة، ورموا بقضية الزعيم اليربوي المسجون، الذي كانوا يعطفون عليه في قسم

المهملات، وأعرضوا عن اتخاذ أي إجراء ضد المجرمين الذين اغتالوا أولئك الزعماء الأبرياء.

وأصبح ارونسي على أثر استلامه للحكم فوراً يسلك مسلك الحكام المستبدين، ويصدر بياناً إثر بيان دون أي تشاور أو تفاوض مع غير أبناء قبائله، وألغى النظام الإقليمي، ووحد الخدمات العامة، تمهيداً لتعيين أبناء قبائله ولاة في مختلف الأقاليم. وأصبح قبائله يقيمون حفلات الانتصار على القبائل الأخرى في كل مكان. ويرددون الأغاني التي تشيد ببطولة (انزيغو) قاتل أحمد بللو، ويسجلون شتائم أحمد بللو واكنتولا في الاسطوانات، يذيعونها في الطرقات العامة.

بلغ استفزازهم عواطف الشماليين ومواليهم غايته ومنتهاه، ثم حاولوا أن يسبقوا ردود هذه الأفعال بتجريد الجنود الشماليين من أسلحتهم في مدينة أبيكوتا وأبادن ولاغوس، فأثاروا حمية الضباط الشماليين الذين منهم: محمد مرتضى ومحمد شو وغيرهما من الذين قاموا بضربتهم القاضية التي أطاحت بحكم اغوي أرونسي وقبيلته، والمشتركين معهم في الانقلاب الأول في الإقليم الغربي ولاغوس، ما عدا الليفتنانت أوجوكو الحاكم العسكري بالشرق.

ولقد أفلت من أيدي المنتقمين لأن برنامج العملية لم تشمل إقليمه الشرقي.

كان يعقوب غوان المسيحي يتقدم على الضباط المسلمين الذين زاولوا العملية الناجحة، فرأوا أن من الحكمة أن يعينوه قائداً للجيش ورئيساً للحكومة العسكرية حسماً للانشقاق السياسي والديني الذي قد يحدث في صفوف الشماليين.

وأسرع يعقوب غوان إلى الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين، بما فيهم الزعيم اليرباوي أوبا فيمي أولوو، ثم أشركه في الحكم، ووجه الحاكم العسكري (أوجو كو) نداءه الحماسي إلى جميع أبناء قبيلته في سائر الأقاليم أن يهاجروا أماكنهم إلى إقليمهم الأصلي، في الشرق فاستجابوا له على الفور.

وهناك قرروا أن لا يتعاونوا مع حكومة غوان، وأن ينظموا مخططات عديدة للانتقام، وأخذ الثأر من قتلة أرونسي، وعبثًا استفرغ الرئيس يعقوب غوان وسعه في دعوة أوجو كو إلى المفاوضة مع حكام الأقاليم الباقين فيما ينجي البلاد من هذه المشاكل والأزمات السياسية، ويقودها إلى الاستقرار والأمن والرفاهية. ولكن أوجو كو أصم أذنيه عن النداء، وأدار ظهره إلى جميع الملوك الذين توسطوا بين الطرفين لإيجاد التفاهم.

قيام الحكومة الانفصالية في بيافرا:

استغل قبائل إيبو مناصبهم في الوظائف الدبلوماسية كابواق الدعاية، لاستعطاف عواطف الدول الغربية بأسرها على قضيتهم. واستغلوا كنائسهم الكاثوليكية للاستغاثة بالكنائس العالمية، عن طريق الباب وجمعية الصليب الأحمر. التي ظلت تبعث الأسلحة والجنود المرتزقة، في صورة الإغاثات والمواد الغذائية والصحية إلى منكوبي الحرب في ما يسمونه حكومة بيافرا، بينما كان يعقوب غاوان يدعو إلى التفاوض والتفاهم للتعايش السلمي. كان الكولونيل أوجو كو يدعو قبيلته إلى التعبئة الكبرى للسيطرة على نيجيريا، أو للدفع بها إلى الدمار.

ولما تم له التزود بالأسلحة الحديثة المدمرة، وجمع الجنود المدربة المرتزقة، وحصل على تأييد أكثر الدول الكبرى سرًا، وأكمل الإجراءات التي يتم بها

الانفصال عن نيجيريا، والاستقلال تحت حكومة بيافرا، وحدد لإعلان انفصاله شهر مايو ١٩٦٧م، أسرع يعقوب غاوان إلى تقسيم إقليمه الشرقي إلى ثلاث ولايات، لتنحصر قبائل إيبو في ولاية واحدة، وتنعزل عن القبائل الأخرى، في ولايات مستقلة. كما عمد إلى تقسيم الإقليم الغربي إلى ثلاث ولايات والشمالي إلى ست ولايات وصار الجميع اثنتي عشرة ولاية، وعين على كل ولاية حاكمًا عسكريًا.

فقامت قبائل إيبو بسلسلة من الاعتداءات الجوية والبرية، على العواصم الشمالية، والعاصمة الفيدرالية، فقام الجيش النيجيري لرد الاعتداءات. وهكذا بدأت الحرب الأهلية التي انكشفت عن مؤامرات دولية وحروب صليبية، وخيانات صهيونية، مما لا يخفى على المخلصين المراقبين لهذه الحرب التي ظهرت فيها صداقة العرب والمسلمين لاخوتها الافريقية المسلمة.

وفي الطليعة: الجمهورية العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، والجمهورية الجزائرية ثم كمرون ونيجر. ولقد ضربوا أروع الأمثلة للبطولة والإخلاص ومناصرة الحق، حتى خرجت نيجيريا من هذه الحرب منتصرة، ولسان حالها يقول:

جزى الله الشدائد كل خير ... عرفت بها صديقي من عدوي

من أسرار حربنا الأهلية وبواعثها:

إن أسباب هذه الحرب تقوم على عوامل كثيرة من بلاد يوربا، وبلاد إيبو، وأهمها العاطفة الدينية والنزعة القبلية.

لقد أوضحنا في الفصول السابقة بعض ما بين قبائل يوربا الكافرة وبين المسلمين في مدينة إلورن، من حروب حامية الوطيس التي لم تهدأ إلا عند بدء الاستعمار، وما هيجته القبلية والمسيحية من العقابيل التي نفخها الزعيم الـيـرباوي اولـوو، وإن هذا الزعـيم بالذات هو الذي وضع خطة لقلب الحكومة الفيدرالية على الشماليين أولاً قبل أن تنفذها قبائل إيبو.

غير أن الصلات الدينية والثقافية والتجارية التي تربط قبائل هوسا في الشمال مع قبائل يوربا في الغرب، قد ساعد على تخفيف هذا التوتر، وأدخل فرجة الانشقاق على حزب جماعة العمل، التي دبرت المؤامرة أولاً ففشلت في مهدها.

على حين أن عدم وجود أمثال تلك الصلات بين قبائل إيبو وهوسا، مما أبعد شقة الخلاف وضاعف الخصومات وأيقظ الفتن إذ لم يذكر أحد من المؤرخين تاريخ قبائل إيبو في الكتب العربية قبل الاستعمار، ولا في الكتب الانكليزية بعد الاستعمار.

لذلك لا يعرف عنهم شأن يُذكر قبل مائة سنة من زمننا هذا، ويظهر عليهم أنهم من القبائل البدائية التي تعيش في أحياء متفرقة، لا تجمعها حكومة متحضرة، وإنما يكون لكل أسرة رئيسها وبلدها، ومن قائل أنهم من بقايا البوشمان الذين طردتهم قبائل البانتو من أواسط أفريقيا إلى جنوبها، فانتشروا في الغابات الاستوائية المجاورة لبلاد بنين. ولقد ضمها الانكليز إلى قبائل يوربا وهوسا، بحكم الجوار والمصلحة السياسية التي قضت على النزاع الدولي القائم حينذاك، بين دول أوروبا في سواحل غرب أفريقيا.

دخل التبشير الصليبي إلى نيجيريا، فوجد لعمله مرتعًا خصيبًا في بلاد

إيبو، إذ لم يلق بها مقاومة إسلامية، كما لقيها في بلاد هوسا. ومعظم بلاد يوربا، ولم يكن لقبائل إيبو أي تردد في التجاوب مع النصرانية الصليبية فرحبت بالكاثوليكيين الأميركيين اليهود، فتم لهذا الثالوث الفتح المبين في بلاد إيبو، وفتحت أميركا أبواب بلادها لقبائل إيبو، فانجرف سيل عرم من أبناء هذه القبائل الذين ينساقون وراء الثقافة الأميركية، وحضارتها وحريتها، فأكبوا عليها ينهلون بنهم حتى ضربوا فيها بنصيب أوفر، وكادوا يفوقون أبناء القبائل الأخرى، وضربوا معها بسهم من تعاليم اليهود وارتووا من معينها حتى ثملوا، فتبلورت في أذهانهم فكرة الماسونية اليهودية، فطفقوا يمارسونها بين قبائلهم الخاصة، لا سبيل لغيرهم أن يفهموا أسرارها.

وأنشأوا سنة ١٩٤٤م. منظمة شبه سرية باسم اتحاد ولاية ايبو يرسمون فيها بروتوكولات سيطرتهم على القبائل الأخرى في نيجيريا ثم في أفريقيا، وورثوا من الكاثوليك بغضهم وكراهيتهم للإسلام خصوصًا وللعقائد الأخرى عمومًا، فلم يتركوا مجالاً في بلادهم لأية كنيسة غير كاثوليكية فضلاً عن المساجد الإسلامية، ولم يسمحوا فيها لأية مدرسة غير تبشيرية فضلاً عن المدارس العربية والقرآنية.

تعلموا من وسائل الاستعمار الأميركي مبدأ الاثرة في سياسة ملء الوظائف الشاغرة في الدواوين الحكومية، والمؤسسات التجارية. فانتهزوا فرصة سابقتهم في التعليم الغربي، فاحتلوا جميع المناصب العالية، والمكاتب الرسمية، والغرف التجارية في الشمال (بلاد هوسا) وفي جزء كبير من بلاد يوربا، على حين أن لا سبيل لغير قبائل ايبو أن يحتل مكانًا مماثلاً لذلك كله في بلاد ايبو.

تعلموا من الإنكليز سياسة إيقاع الشقاق بين القبائل الأخرى، ليتمتعوا بالوحدة والوئام، فتتم لهم السيادة على حد سياسة (فرق تسد)، فحرشوا بين قبائل يوربا، وأغروا بعضهم ببعض عقب انتخاب ١٩٦٥م. ومن أجل السيطرة على الاقتصاد التجاري، أنشأوا سوق الاحتكار في كل مكان استراتيجي، وكانوا يستخدمون نفوذ المناصب التي احتلوها، لتسليف الأموال الطائلة من البنوك لاستيراد البضائع الرائجة من وراء البحار، أو لشرائها بالجملة من الغرف التجارية الكبرى في نيجيريا، ثم بيعها كيفما يريدون، ولكي تتم لهم السيطرة السياسية، توزعوا في مختلف المدن والارياف، وكانوا يترنمون بكلمة نيجيريا واحدة، ليستطيعوا أن يرشحوا أبناء قبيلتهم، ومن يواليهم في كل إقليم، على حين أنهم أغلقوا أبواب بلادهم دون أي قبيلة أخرى. هكذا تطالب قبائل ايبو بنصيب الأسد لأنفسهم في كل ميدان، توهموا المقارنة بين قوميتهم وقومية الفلانيين من قبل، فانبثوا في كافة أرجاء نيجيريا، كما انبث الفلانيون في أرجاء هوسا.

ثم استسلموا لقيادة ازيكوي أولاً، ثم خلعوا طاعته وتبعوا ميكيل اوبارا، لأن الأخير كان أكثر من الأول تحمسًا، كما استسلم الفلانيون للشيخ عثمان بن فودي، ولكن شتان بين الدعوة القائمة على أساس توحيد الله وعبادته، والتصديق برسل الله وهدايتهم والعمل على نشر العدالة والمساواة، وبين الدعوة القائمة على التثليث في ذات الله، والتفريق بين رسل الله، أو القائمة على حب الفساد، واستعباد العباد، واستغلال البلاد، وشتان بين القيادة التي يصحبها التوفيق الإلهي وترعاها العناية الربانية، وبين القيادة التي تعتمد على الدعاية المغرضة والمكر والتحريش.

أبى الله إلا أن يئوب مساعي قبائل ايبو كلها بالفشل الذريع.

وأبى الله إلا أن يصطلوا لظى النار التي أشعلوها، وأن يقعوا في الهوة التي حفروها، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

فعسى أن تأخذ قبائل يوربا عبرًا بالغة، من هذه الواقعة المريرة، وأن تعلم أن الحرب التي أكلت الأخضر القوي، مثل قبائل إيبو، يجب أن يجتنبها اليابس الضعيف، مثل قبائل يوربا. وعليهم أن يعتبروا بغيرهم، وأن يتوبوا من النفاق والشقاق، وإيقاظ الفتنة مرة أخرى.

كما عسى أن يعتبر المبشرون الصليبيون بنتائج هذه الواقعة التي ظهرت على عكس ما كانوا يتوقعون، وأن يعلموا أن للإسلام ربًا يحميه، ويعصمه من كيد أعدائه المعتدين، مهما يبلغون من القوة والعدة.

من أسباب انتصار نيجيريا على بيافرا:

يعلم الأصدقاء والأعداء جميعًا أن نيجيريا لم تنتصر بالأسلحة ولكنها بعون الله تعالى على أنه لم يزل مسلمو غرب أفريقيا يعتقدون بتأثير الصلوات والأدعية والأذكار على الكائنات لذلك لا يتركونها في كل حال من أحوالهم فدائمًا يقدمون النوافل بالصلاة والصيام والأذكار والصدقات على كل مساعيهم ولما فوجيء العالم باغتيال أحمد بللو وأعوانه تعطلت حواس المسلمين جميعًا في نيجيريا وما حولها لمدة ثلاثة أشهر وغاب عنهم فكرهم، ولما عاد إليهم صوابهم دعا أمراء المسلمين في الشمال إلى عقد اجتماع جمعية نصر الإسلام، فاجتمعوا في «كادون» هناك قرروا إعلان أسبوع الصيام والاعتكاف في المساجد لأداء ختمات من القرآن في كل بلد وفي كل قرية في الإقليم الشمالي للتوسل بذلك إلى الله أن يكشف عن المسلمين ما حل بهم وأن ينصرهم على أعدائهم ففعلوا ذلك ثم قاموا بالانقلاب الثاني الذي قضوا به على حكم ارونسي الغادر.

ثم لما أعلن أوجوكو انفصاله وقامت الحرب الأهلية طلب زعماء الجيش النيجيري إلى الأمراء المسلمين أن يعاونوهم بالدعاء مرة أخرى كما فعلوا سابقًا.

ثم اجتمع الأمراء وأعلنوا اسبوع الصيام والاعتكاف مرة أخرى فنصرهم الله على بيافرا التي اغترت بالأسلحة الحديثة والجنود المرتزقة ولكنها لا تملك الأدعية والصلوات والأذكار التي يملكها المسلمون.

المسلمون الذين خاطبهم الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وهم الذين ظل نبيهم يدعوا ربه ليلة بدر ويسأله النصر بإلحاح حتي قال له أبو بكر يا نبي الله كفاك وقد الححت على ربك وسينجزك ما وعدك.

وهم الذين جاء في تاريخهم أن سيدنا عمر أرسل إلى ابن العاص وجنوده عندما تأخر عليهم فتح مصر أن يجتمعوا يوم الجمعة وأن يتطهروا ويصلوا ثم يرغبوا إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا ذلك ففتح الله عليهم.

وهل يمكن للعرب أن يجربوا هذا السلاح مع إسرائيل؟ ويعلنوا صيام شهر على العالم الإسلامي كله لطلب النصر من الله؟

مشاكل المسلمين الحاضرة:

للمسلمين في غرب أفريقيا مشاكل مماثلة لمشاكل إخوانهم، في سائل أنحاء العالم، ومشاكل مغايرة ومضاعفة، تزيد طينهم بلة.

منها: مشكلة القيادة، وهي فقدان القيادة التي تجمعهم تحت راية، وتوحد صفوفهم وراء خليفة، أو إمام يتكلم بلسانهم، ويحمي ذمارهم، ويدافع عن حقوقهم.

الجمعيات الإسلامية موزعة في مختلف الأغراض والاتجاهات.

والطوائف الصوفية متعصبة لمختلف المشايخ والطرائق.

ثم جاءت الأحزاب السياسية تفكك جميع الجبهات والاتحادات.

وأول محاولة لتنسيق الجبهات الإسلامية حدثت عام ١٩٤٨م. باسم مؤتمر نيجيريا الإسلامي، ، قام بها الحاج أمين كودايسي من جبودي، ولكنه ارتكب غلطة كبرى، بتحويل المؤتمر إلى حزب سياسي، قبل تمام استقراره، فتعرض لضربة حزب جماعة العمل، وهو حزب الحكومة القائمة حينذاك بالإقليم الغربي، الذي امتنع أن يقوم حزب على أساس الدين والعقيدة. حتى لا ينسحب المسلمون من حزبه إلى حزبهم، فتحامل على المسلمين حتى انحل حزبهم. ثم أنشىء المجلس الإسلامي سنة ١٩٦١م. لتوحيد الجمعيات الإسلامية في لاغوس، وتعاقب على رئاسته المحامي الكبير محمد الأول اوغسطو، ثم الحاج عبد الوحيد الياس، ولم يتعدَّ حدود لاغوس. وللأستاذ كامل الشريف السفير الاردني في نيجيريا جهود في هذا الميدان وهو الذي ساعد على إنشاء رابطة الأئمة لتنظيم شئون المساجد، في الإقليم الغربي ١٩٦٤م وأسس المرحوم أحمد بللو جمعية نصر الإسلام، لتوحيد مسلمي الشمال والجنوب، ولكن المنية حالت دون تحقيق ذلك على يده، إلا أن الجمعية لا تزال مؤمل المسلمين الشماليين.

ثم جاء تقسيم الشمال إلى ولايات، مرجعها مركز الاتحاد مع الصليبيين في لاغوس، فصار المسلمون يتفكرون فيمن يوحد صفوفهم، وينتظرون بفارغ الصبر الزعيم الذي يقيضه الله للأخذ بأيديهم، ولكن لو هب الأمراء جميعًا، وأعادوا تنظيم صفوفهم وراء واحد منهم قدير، لما وجدوا كبير عناء

في استرداد مجد الإسلام الضائع، في هذه البلاد، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

مشكلة الغزو الثقافي:

لقد غزت الثقافة الغربية بلاد العرب أولاً، قبل أن تغزو بلاد الإسلام، فهانت على العرب ثقافتهم ولغتهم وديانتهم، إلا قليلاً من المؤمنين منهم، وليس أدل على ذلك أكثر من إقبال كثير من المثقفين العرب على من يتكلم معهم باللغة الانكليزية أو الفرنسية، دون من يتكلم معهم بالعربية، من غير أبنائها، ويحتجون على ذلك بما لا مبرر له من الحجج الواهية عند من يحبون العربية.

فماذا نقول لأبناء العرب الذين يسبحون بحمد من يتعلمون الإنكليزية أو الفرنسية في غرب أفريقيا، وينفرون عن العربية من يتعلمها، بحجة الإشفاق على معيشتهم في المستقبل لأن العربية لا تدر لهم أرزاقًا، ولا تغنيهم ثقافة في هذه البلاد، فهل رأينا انكليزيًا أو فرنسيًا غير داع متحمس لتعليم لغته؟ وماذا نقول لأبناء العجم الذين هجروا الثقافة الانكليزية أو الفرنسية في بلادهم، وتحمسوا للثقافة العربية، حتى قصدوا بلاد العرب من أجلها، ثم أدركوا أبناء العرب يقدسون ما هجروه في بلادهم، ويتأففون مما هم أتوا لأجله، إن في ذلك بلاء في العربية عظيمًا.

مشكلة المجافاة بين المثقفين:

تشتد المجافاة بين أصحاب الثقافة الإسلامية، والثقافة الغربية، حيث ينظر أحد الطرفين إلى الآخر نظرة ازدراء واحتقار. وذلك إما لكون إحدى الثقافتين أو كليهما أبتر من أحد الجانبين، وإما لمعاداة إحداهما للجهل بها،

وقد قيل: «من جهل شيئًا عاداه». ولو أن أصحاب الثقافة الإسلامية أخذوا بنصيب من الثقافة الغربية، ولم يجهلوا بما هو الضروري لهم أن يعرفوا لسايروا الركب، أو أن أصحاب الثقافة الغربية احتفلوا بالثقافة الإسلامية، ولم يتخبطوا فيها خبط عشواء لذاقوا حلاوة الإيمان.

على أن كون هذه أو تلك بتراء مما عمت به البلوى في العالم الإسلامي. أو كون إحداهما تشن حربًا شعواء على الأخرى مما يهدد السلام العام بين الدين والدنيا.

أما المشاكل التي يعانيها المسلمون في غرب أفريقيا بوجه خاص فهي كالآتي:

مشكلة إسناد الأمر إلى غير أهله:

ترتع هذه المشكلة في مرتع خصيب بالمجتمع الإسلامي ببلاد يوربا، وذلك بتولية الجهلاء منصب الإمامة بحكم الوراثة المحدودة في بيوت الذين عملوا على نشر الإسلام لأول مرة في البلد، بغض النظر عن كون الإمامة في الإسلام، على شروط يجب استيفاؤها فيمن يتولاها.

والإمام الجاهل ضال مضل في الحديث «**أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»، وذلك بتدخل الأمراء والأغنياء في تعيين الإمام الذي يكون طوع أمرهم ورهن إشارتهم، لا من ينصحهم ولا يخشى إلا الله.

مشكلة العصبية القبلية:

هذه العصبية القبلية التي فتحت عيون كل قبيلة على مناقب نفسها، ومثالب غيرها في العادات والتقاليد، وغرست في قلب كل قبيلة إيثار

نفسها على غيرها في كل مجال حتى في الدين. فترى مسلمي هوسًا يستنكفون أن يصلوا خلف إمام يورباوي، حتى ولو كانوا في بلاد يوربا.

لهذا كانت الجاليات الهوساوية تعتزل الأواسط اليرباوية في حي خاص، يدعى سابنغرى، أو زنفو، حيث تحتفظ بتقاليدها، وتقيم شعائر دينها وراء إمام هوساوي. وفي حالة عدم تمكنهم من هذا يتركون صلاة الجماعة بتاتًا ويصلون أفذاذًا، ويبررون تصرفهم هذا بنقائص أحصوها على قبائل يوربا.

منها بقاء الرواسب الجاهلية والتقاليد الكفرية بينهم، كإقامة مأتم السبعة لموتاهم، والحداد الطويل لمن يموت منهم في سن مبكرة، أو عمل هذا المأتم وليمة، إذا كان الموتى شيوخًا وعجائز وخلفوا أولادًا.

ومنها عدم توفر أكثر أئمتهم لشروط الإمامة كما تقدم.

ومنها عدم ضرب الحجاب على نسائهم، وإطلاق سراحهن للبيع والشراء في الأسواق، والاختلاط بالرجال في المجتمعات.

ومنها تشبه أكثرهم بالنصارى، كإخفاء أسمائهم الإسلامية بالرموز. والإظهار والتنويه بأسماء أجدادهم الوثنية، وذلك بتحريض التبشير الصليبي كراهية لإظهار معالم الإسلام فيهم، أو كإقامة الحفلات أيام الآحاد، أو نحو ذلك من التقاليد النصرانية. لهذا قال شاعرهم مَا لَمْ زمعة ابن إمام مدينة بوشي في بعض قصائده:

ولا عيب في يوربا سوى أن دينهم كدين النصارى لا كدين محمد

ويشعر مسلمو يوربا باستخفاف مسلمي هوسا بإسلامهم، فيستمرون في أحوالهم، لذلك كله لم يتيسر حتى الآن اتفاق الفريقين على شيء، بل

رضوا بأن يكونوا طرائق قددًا، يعمل كلٌّ على شاكلته وكل حزب بما لديهم فرحون.

بينما يتمتع رجال الكنائس بالوفاق والوئام، لا فرق بين الجنوبيين منهم والشماليين، ولا بين قبيلة وقبيلة، بل كلهم يد واحدة على من سواهم. بذلك استطاعوا أن يضاعفوا جنودهم في الدعاية التبشيرية، من يوم رأوا على رأس الحكومة الفيدرالية مسلمًا يتلقب بالحاج، ويلبس على رأسه العمامة، ويلتف حوله عدد من الوزراء المسلمين، وكان يسوؤهم دائمًا أن المساجد لا تزال عامرة ممتلئة في الجمع والأعياد، وأن عدد الحجاج لا يزال يربو على ما قبله كل عام، وأن مجالس الوعظ لا تزال تعقد في رمضان. . . تلك هي المظاهر التي تذمر منها الصليبيون، وحسبوها قوة إسلامية باهرة، فسعوا جاهدين في توهين هذه القوة بكل الوسائل، حتى قاموا بالانقلاب الأول، واغتيال الزعماء المسلمين، ليصبحوا رعية بدون راع، فاغتنم الصليبيون هذه الفرصة للانتشار في كل مكان، لإنشاء المراكز، وتشييد الكنائس، وتعمير المستشفيات، وفتح المدارس والكليات، وتوزيع الجرائد والمجلات، وإذاعة الأناجيل في المحطات بمختلف اللغات. . . كل ذلك يجري، والمسلمون في التدابر والتحاسد والتباغض:

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

حاضر الإسلام ومستقبله في افريقيا

تلك شذرات من أخبار من تقدموا في بلاد السودان من الأبطال الذين خدموا الإسلام وغرسوا ثقافة العرب في ارض العجم حتى أحب أهلها

العرب لمحبتهم النبي العربي وقدسوا اللغة العربية لتقديسهم القرآن العربي وبذلوا كل ما في وسعهم لرفع راية الإسلام في بلادهم ولم يتخلفوا عن ركب الحضارة في زمانهم بل صنعوا ما كتبه التاريخ في صفحات من أمجاد وكرامات.

ومرت قرون عشرة على مجد الإسلام في غرب افريقيا ثم أغار عليها الأفرنج بخيلهم ورجلهم يهدمون كل مبان إسلامية ويبنون على أنقاضها صروحًا صليبية ولم يمر قرن واحد من الزمان حتى ظهرت معالم الصليب على معالم الهلال وارتفعت بروج الكنائس على منارات المساجد، ودوت رنات النواقيس على اصوات المآذن.

فقام المؤمنون بالمناورات والمناقشات حتى فنيت أسلحتهم وذخائرهم أمام الأسلحة والذخائر المتواصلة إلى الأعداء كل يوم وكل شهر وكل عام ومن هنا جعل المؤمنون يصيحون..!

أين العرب المكلفون قبل أي إنسان آخر بحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم وهم اقدر الناس على حمايتها والدفاع عنها في أم القرى وما حولها وفي مشارق الأرض ومغاربها وهم المخاطبون مع النبي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

ولكن ما حل بالعرب أعظم وأجل مما حل بالعجم ولهذا لا يهتمون إلا بأنفسهم فلم تكن غرب افريقيا المستغيثة بالعرب إلا كمن أصيب داره بالحريق فأسرع إلى البئر أو البحر ليأخذ منه ما يطفىء به الحريق، فوجد فيه نارًا تلتهب، أو كالمريض الذى احس بالوجع فهرع إلى الطبيب فأدركه يحتضر.

ولولا أن الله أبقى في كل عصر وفي كل مصر من ينتصر للحق لما بقي في الأرض من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

العرب قاطرة الإسلام والعجم حافلته، ولا يمكن أن تتحرك الحافلة إذا سكنت القاطرة.

والعرب قلب الإسلام والعجم جسده، ولا يمكن أن يصلح الجسد إذا فسد القلب، العجم ادرى بأساليب الدعوة في بلادهم ولكنهم بحاجة إلى مساعدة العرب ولا تتمكن الدول الإسلامية أن تطبق الشريعة إذا عطلتها الدول العربية ولا يتمكن الطلاب الأفارقة أن يكونوا متمسكين بالإسلام ومحافظين على الصلوات إذا كان اساتذتهم العرب مهملين ضعفاء الإيمان وهكذا..!

وما هو مستقبل الإسلام والحالة هذه...!؟

الدعوة الإسلامية اليوم مسكينة..!

أن نجاح عملية ما من جميع العمليات متوقف على التفكير قبل التدبير وعلى التخطيط قبل التنفيذ وعلى الدراسة الدقيقة للبيئة والمجتمع قبل العملية.

هذا أول ما يدرسه المبشرون قبل البدء بالتبشير في أي قطر وفي أي مصر ثم أن نجاح دعوة من الدعوات متوقف على بذل النفس والنفيس والتسامح والتودد والاهتمام بشأن الفرد كالجماعة والبادي كالحاضر، وذلك ما يفعله أصحاب المذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية حتى انتشرت مذاهبهم «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»، كما أن رواج كل تجارة متوقف على تحمل خسائر الدعايات وتحمل الاتعاب لهذا قيل «من يعرف المطلوب يحقر ما بذل».

لذلك لا يكترث المبشرون بما يضيع منهم من الأموال ولا ينتظرون حصاد زرعهم في القريب العاجل وإنما يقدرون ربع قرن ونصف قرن، أما الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر فلا تدبير فيها ولا تخطيط ولا التواصل بين الماضي والحاضر، ولا التعاون بين الأمة والحكومة، ولا الزراعة قبل انتظار الحصاد ولا الدراسة قبل ادعاء الفهم.

ليس هناك معهد لتدريب الدعاة على اساليب الدعوة الناجحة، بل كل معهد يرى أنه إذا ما علم الطلاب القواعد فقد برىء من الذمة، وليس هناك هيئة تنظم أعمال الدعوة على بصيرة وخبرة بل كل منظمة ترى أنها إذا ما كتبت في المجلات أو خطبت على المنابر التي لا يقرأها ولا يستمع إليها إلا المسلمون فقد بلغت الرسالة، وليس هناك حكومة رصدت الدعوة كما رصدت الأموال في سبيل الدعاية لدولتها في مختلف الأقطار، وكل حكومة ترى أنها إذا ما تبرعت بعشرات الجنيهات على بعض المساجد والمعاهد ونشرت الصحف أخبار ذلك فقد أدت الواجبات.

كل داعية يريد أن يعمل لشهرته أو لمرتبه أو لحكومته، وكل صاحب فكرة أو عقيدة أو مذهب يرمي من خالفه مالاً يرضى من القول والفعل، وينسب زميله إلى البدعة والهوى والتقصير، إلى متى يستمر هذا؟

●●●

خاتمة الكتاب

وبعد . . . !

فلقد كتبت هذا الكتاب لقراء العربية من أبناء غرب أفريقيا ليدركوا آثار ما أسسه السابقون من أمجاد سودانية وما غرسه الأولون من ثقافات عربية ثم ما تعرضت له هذه الثقافات وتلك الأمجاد من قذائف صليبية تدمر كل شيء أتت عليه وتجعله كالرميم .

وكذلك كتبت هذا الكتاب لقراء العربية من أبناء العروبة والإسلام في كل مكان لتكون لهم فائدة الخبر أو لازم الفائدة ، وليدركوا ما هنالك فإن إدراك ذلك بدون ريب يوقظ الوعي ويبعث الهمة في نفس كل غيور على دينه وثقافته فيسعى في تغيير الوضع إلى ما هو أحسن ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

ألا يا أيها العربي اعلم أنه :

من تكن العجمة في لسانه ... قد تلمح اللوثة في بيانه

●●●

مراجع الكتاب

١ - تاريخ السودان للشيج عبد الرحمن السعدي طبع باريس .

٢ - صبح الأعشى للقلقشندي .

٣ - مقدمة ابن خلدون للعلامة ابن خلدون .

٤ - تطريز الديباج للعلامة أحمد بابا التمبكتي .

٥ - انفاق الميسور للسلطان محمد بللو بن عثمان فودي .

٦ - تزيين الورقات للشيخ عبد الله بن فودي .

٧ - ضياء السلاطين للشيخ عبد الله بن فودي .

٨ - في بلاد الزنوج للأستاذ عبد الله حشيمه .

٩ - نحن في افريقيا للأستاذ كامل مروة .

١٠ - انتشار الإسلام في افريقيا للدكتور حسن إبراهيم حسن .

١١ - الإسلام والثقافة العربية في افريقيا للدكتور حسن أحمد محمود .

١٢ - الدعوة إلى الإسلام سير توماس ارنولد .

●●●

obeikandi.com